ملحمة بريتون وودز

إد كونواي
Ed Conway

المؤتمر
The Summit

أكبر معركة في الحرب العالمية الثانية - جرت خلف الأبواب المغلقة

The Biggest Battle of the Second World War-Fought Behind Closed Doors

Little, Brown, London, 2014, 863 pp. $29.95(Cloth)

قصة رائعة، ومزيج ثري من الشخصيات في فندق منعزل في جبال نيوهامبشير. وطقس صيفي رائع، وترف من النوع الذي لم يره كثير من الحاضرين خلال الحرب التي قاربت خمس سنوات، وكم وفير من المشروبات الكحولية. ويقوم بالدورين الرئيسيين البريطاني جون مينارد كينز – وهو شخصية رائعة، ولكنه غريب الأطوار، ويعاني من المرض، ويقوم بدور محدود في القصة، وترعاه زوجته، راقصة الباليه الأولى المتميزة ليديا لوبوكوفا – وهاري ديكستر وايت، المسؤول بوزارة الخزانة الأمريكية – وهو شخص عنيد، وعصامي، ونشيط، وكان قبل وقوع أحداث القصة على اتصال بالمخابرات السوفيتية. وقد كان التحدي الذي يواجهانه هو التوصل إلى اتفاق بشأن نظام نقدي دولي يقضي على المعاناة الناجمة عن عدم الاستقرار والبطالة الجماعية. ورغم تعقد الموضوع والفوضى التي عمت جلسات الصياغة، فقد تم التوصل إلى اتفاق ظل يُضرب به المثل في التعاون الدولي. وإذا كان كينز قد شعر بخيبة أمل إزاء نتيجة الاتفاق، وبدأ وايت يتشكك في بعض معالمه الرئيسية، إلا أنه أسفر عن إنشاء وتمويل مؤسستين شكلتا صميم التعاون الاقتصادي الدولي لمدة ٧٠ عاما.

قصة رائعة يرويها بحماس بالغ إد كونواي، المحرر الاقتصادي لمحطة سكاي نيوز. وهو يعتمد على مذكرات المشاركين ويستخرج معلومات قيمة من دور المحفوظات حول العالم. ورغم أن التركيز ينصب على الدراما الإنسانية في المؤتمر، فإن القارئ يتعرف أيضا على تاريخ القضايا المطروحة وما كانت تعنيه للمشاركين وشرح لكيفية اتفاقهم في وقت لاحق.

ويسلط كونواي الضوء على الضغوط التي مورست على المفاوضين من سياسيين محليين لديهم غايات خاصة وفهم غير كامل للقضايا المطروحة، وكذلك من قطاع مالي يحرص على الاحتفاظ بسبل عديدة لكسب المال. ويبدو التصديق اللاحق على اتفاقيتي تأسيس صندوق النقد الدولي والبنك الدولي أكثر إعجازا بالنظر إلى مصير اتفاقيات أخرى، كاتفاقية تأسيس منظمة التجارة العالمية.

والقضايا الرئيسية للتعاون الدولي في المجالين الاقتصادي والنقدي التي ناقشها المؤتمر لا تزال في مقدمة القضايا التي تتناولها صناعة السياسات اليوم. هل ينبغي على البلدان التي لديها فائض وتلك التي لديها عجز أن تتقاسم عبء التصحيح؟ وما هي أفضل طريقة لضمان استقرار أسعار الصرف دون جعل النظام شديد الجمود وفرض أعباء تصحيح لا تُطاق؟ وما درجة الاستقلالية التي ينبغي أن تتمتع بها السياسة الاقتصادية المحلية وما درجة الحرية التي ينبغي أن تنتقل بها رؤوس الأموال؟ وكيف يمكن لبلد ما إدارة دين كبير لا يمكن الاستمرار في تحمله؟ وما يقدمه كونواي من شرح واف لكيفية التعامل مع هذه الموضوعات من جانب المشاركين في المؤتمر المنعقد في ذلك الفندق في بريتون وودز بولاية نيوهامبشير يمثل نظرة متعمقة لقضايا الجولة الحالية من الأزمات.

وقد تم استخدام لغة معقدة وغامضة في صياغة صلاحيات صندوق النقد الدولي في مواد الاتفاقية التي خضعت للتفاوض في بريتون وودز. وهذا ليس من المستغرب، نظرا للارتباك الذي ساد المفاوضات. وقد احتج كينز على مسودة الاتفاقية التي أعدتها الولايات المتحدة والتي بدت مكتوبة بلغة الشيروكي، بينما سعى وايت والوفد المرافق له إلى إبقائها على هذا النحو. فقد كانت لديهم خبرة أكبر في الأعراف القانونية التي تفسِّر نصوصها الأساسية بما يجعلها تنطبق في ظروف بعيدة عن أذهان واضعي صيغة الاتفاقية. لكن النتيجة أعطت صندوق النقد الدولي المرونة التي يحتاجها للتكيف مع احتياجات الاقتصاد العالمي المتغيرة وتلبيتها.

وكان الغرض من قواعد نظام بريتون وودز أن تكون غامضة. واعترف واضعو القواعد الأكثر فطنة بأن الأرجح ألا يتم الالتزام بالقواعد إلا إذا كانت البلدان الأخرى مستعدة لمعاقبة البلدان المخالفة – وهو الوضع الذي يندر حدوثه عندما يكون البلد المخالف بلدا قويا لديه فائض. وكان يمكن أن تنهار الاتفاقية عند أول طعن إذا كانت القواعد أكثر تحديدا. ولم يكن الإنفاذ قويا، كما كان، وظهرت طرق للتحايل على القواعد غير الملائمة.

والنظام النقدي الذي تم وضعه في بريتون وودز لم يبدأ في العمل حتى أواخر الخمسينات من القرن العشرين، وتم تفكيكه إلى حد كبير في الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٣، رغم أنها كانت واحدة من أكثر الفترات ازدهارا واستقرارا في التاريخ الاقتصادي الدولي. ومن الصعب معرفة مقدار الفضل الذي يُنسب إلى القواعد التي تمت الموافقة عليها في بريتون وودز والذي يُنسب إلى عوامل أخرى، مثل التعافي بعد الحرب أو دفعات تنشيط الطلب من الولايات المتحدة واستعدادها لتوفير السيولة اللازمة. ورغم انهيار النظام تحت ضغوط عجز الحساب الجاري الأمريكي والنمو السريع للأسواق المالية، يواصل الراغبون في إصلاح النظام النقدي الدولي دعوتهم إلى عقد اتفاقية بريتون وودز جديدة.

وعلى ذلك، ما الإنجاز الرئيسي الذي تم تحقيقه خلال تلك الأسابيع في جبال نيوهامبشير إذا كانت قواعد النظام النقدي الدولي لم تستمر سوى فترة قصيرة جدا؟

لقد تَمثَّل الإنجاز في إنشاء وتمويل مؤسستين تتمتعان بصلاحيات تعزيز التعاون المالي والتنمية الاقتصادية على المستوى الدولي. وقد كانت فعاليتهما في تعزيز الهدف المشترك مبررا للرؤية والعزيمة التي أظهرها كينز ووايت وزملائهما في بريتون وودز منذ ٧٠ عاما.

مارك ألن
الممثل المقيم الأول في منطقة وسط وشرق أوروبا سابقا
مدير إدارة تطوير ومراجعة السياسات بصندوق النقد الدولي سابقا

نظرة داخل الصندوق

لياقات أحمد
Liaquat Ahamed

المال والحب القاسي
Money and Tough Love

جولة مع صندوق النقد الدولي
On Tour with the IMF
Visual Editions, London, 2014, 208 pp., $40.00 (paper)

في كتاب المال والحب القاسي، يصف لياقات أحمد الحياة المهنية للخبراء الاقتصاديين في صندوق النقد الدولي وأقرانهم على المستوى الدولي، كما يقدم نبذة تاريخية عن تأسيسه وتطوره، وهي مهمة صعبة لأن حساسية عمل الصندوق تجعل هذه المؤسسة أكثر ميلا نحو التكتم.

وكتاب المال والحب القاسي يسمح بفهم واستيعاب طبيعة الصندوق وعمله من خلال عرض لمحة عن أنشطته اليومية المعتادة وثقافة جنوده المخلصين. وبدلا من الاستفاضة في وصف الأحداث المأساوية في حياة خبراء السياسات المجتهدين الذين يتسلحون باللوحات الجدولية، يوضح أحمد كيف يسهم موظفو الصندوق بهدوء في صنع سلعة عامة عالمية في غاية الأهمية.

ولدى قيام أحمد بكشف الستار عن طبيعة الحياة في شارع ١٩، حيث يقع مقر الصندوق، فإنه ينأى عن الإشارة إلى الحكايات السرية المثيرة حول الأزمة المالية واللمحات المبالغ فيها عن حياة أعضاء الإدارة العليا. ونظرا لأنه من خارج هذه المؤسسة، فهو يتجنب لحسن الحظ الإشارة لما يدور فيها من محادثات مصطنعة ومختلقة وتقارير زائفة تدعي معرفة بواطن الأمور. فكتابه أبعد في موضوعاته عن كتاب *Stress Test* وأقرب إلى كتاب *Coming of Age in Samoa* الذي يتناول قضايا الاقتصاد الكلي.

وقد اعتمد أحمد في تأليف كتابه على زياراته لمقر الصندوق وسفره مع خبراء الصندوق في أواخر عام ٢٠١٢، وجاء توقيت الكتاب مناسبا. فبعدما تضاءل الاهتمام بالصندوق في عام ٢٠٠٧ باعتبار دوره غير مجد تقريبا من جانب من ظنوا أننا شهدنا نهاية الأزمات المالية، عاد مجددا إلى مركز الصدارة العالمية بعد انهيار بنك ليمان برادرز في عام ٢٠٠٨. ومنذ ذلك الحين، تصدّر عناوين الصحف بشكل يومي تقريبا في الذكرى السبعين لإنشائه.

ولم تكن زيادة الانكشاف للمخاطر مصحوبة بفهم أكبر لعمل صندوق النقد الدولي. ويساعد كتاب أحمد على معالجة هذه الفجوة.

ويدور الكتاب حول أربعة جوانب لأنشطة صندوق النقد الدولي: الحياة اليومية في مقر الصندوق بواشنطن؛ والعاصفة التي شهدتها الاجتماعات السنوية المشتركة بين صندوق النقد الدولي والبنك الدولي التي عُقدت في أكتوبر ٢٠١٢ في طوكيو؛ و"بعثة" – أو زيارة – خبراء الصندوق في أكتوبر ٢٠١٢ لأيرلندا، أحد الاقتصادات "المتقدمة" القليلة التي اقترضت من الصندوق في السنوات الأخيرة؛ وبعثة نوفمبر ٢٠١٢ إلى موزمبيق، أحد البلدان الفقيرة التي تقترض بانتظام من الصندوق وتعتمد بكثافة على المساعدات.

ويتيح هذا المزيج لأحمد فرصة مناقشة مجموعة واسعة من أنشطة موظفي الصندوق

تعلُّم النمو

جوزيف ستيغليتز وبروس غرينوولد
Joseph E : Stiglitz and Bruce C. Greenwald

إقامة مجتمع التعلُّم
Creating a Learning Society

منهج جديد للنمو، والتنمية، والتقدم الاجتماعي
A New Approach to Growth, Development, and Social Progress
Columbia University Press, New York, 2014, 680 pp., $34.95 (cloth)

يجمع هذا الكتاب المهم – الذي تم تصوره في البداية على أنه عرض لمجموعة محاضرات تكريما لكينيث أرو (وبوب سولو بالطبع) – بين الدراسة التقليدية التي أعدها أرو حول التعلُّم بالممارسة ونموذج النمو الذي وضعه سولو. ويطرح الكتاب فكرة أن التغير الفني هو عملية تعلُّم وأن الشركات تنمو والبلدان تتطور لأنها تتعلم بثلاث طرق – الاختراع، والابتكار (تكييف الاختراعات على عمليات الإنتاج)، و"تعلُّم كيفية التعلُّم."

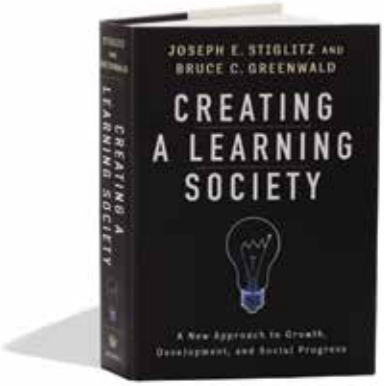

ويقول المؤلفان إن ما يميز الاقتصادات الناجحة عن الاقتصادات الأقل نجاحا هو عملية التعلُّم التي تتيح للشركات والقطاعات، وفي نهاية الأمر الاقتصاد ككل، تحقيق إمكاناتها الحقيقية.

وفكرة أن التعلُّم يحدد مدى النجاح الاقتصادي تربط بين مختلف فروع الدراسات المتخصصة وتدعو الآخرين إلى الشك في مدى صحتها. فقد تم التوسع في مفهوم "الميزة النسبية الديناميكية" ذي التعريف المبهم بإثارة الشكوك حول ما إذا كان المفهوم القياسي للميزة النسبية، استنادا إلى عوامل الإنتاج، لا يزال له معنى (في عالم يتسم بحرية حركة رأس المال). ويطرح المؤلفان فكرة أن معظم الشركات متمسكة بحد إمكانية الإنتاج؛ بينما يتيح التعلُّم لها الاقتراب من هذا الحد وتجاوزه، رغم أن البعض قد يعترض بأن هذا الحد قد يكون هو نفسه مبهما في عالم تنمو فيه الشركات والاقتصادات عن طريق التعلُّم. وربما يكون الأهم من ذلك أن الكتاب يقدم منظورا جديدا لدور الحكومة في تحفيز النمو والرفاهية. فالمعرفة سلعة عامة ولولا التدخل الحكومي لن تتوفر لها الموارد الكافية في اقتصاد السوق التنافسي. لكن درجة التدخل الحكومي التي تؤدي إلى أكبر قدر من التعلُّم غير واضحة. ويقول جوزيف ستيغليتز وبروس غرينوولد إن وجهة نظر جوزيف شومبيتر القائلة بأن الاحتكارات ينشأ عنها ابتكارات ليست صحيحة دائما، لكن التسليم بوجهة النظر المعارضة – القائلة بأن المنافسة توفر مزيد من الحوافز اللازمة للابتكار – قد لا يكون صحيحا كذلك. فالشركات في ظل المنافسة تكون أصغر وبالتالي تكون أقل قدرة على تحمل تكاليف الابتكار الثابتة. ويطرح الكتاب حجة قوية للسياسة الصناعية التي تحفز الشركات المحلية على الابتكار والتعلُّم، والاحتفاظ بهذا التعلُّم داخل الوطن. لكن نوع السياسة

وعلاقتها بالاقتصاد العالمي ويعمل أحمد على الموازنة بين الاعتراف بوجود جوانب روتينية في عمل الصندوق – حتى عندما يعترف بأنها أصابته بالملل – ورصد الشعور بالهدف الواضح الذي يتمتع بميزته معظم موظفي الصندوق. ويذكر أحمد في كتابه أن خبراء الصندوق يجرون دراسات تفصيلية مضنية عن الاقتصاد العالمي كي لا نرهق أنفسنا بعمل هذه المهمة.

أحمد يقدم وجهة نظر طرف داخلي

واستطاع أحمد، على أي حال، تصوير موظفي الصندوق بشكل مختلف قليلا عن صورة الزي شبه الموحد من البدلات وربطات العنق السوداء. وقد كنت أتوق لرؤية مزيد من القصص والشخصيات التي تجعل صندوق النقد الدولي مكانا للعمل شديد التنوع: الصرّافة المنتمية إلى ساندينيستا والتي تعمل في كافيتيريا الصندوق وتقدم المشورة بشأن الأسواق، ورئيس البعثة الفنلندي الذي استطاع أن يحمل مشروبه الكحولي بشكل أفضل من أي وزير مالية في الاتحاد السوفيتي السابق، والمدير التنفيذي الإيراني الذي ساهم في الدفاع عن تقديم مزايا الزواج للأزواج من نفس الجنس قبل معظم البلدان الأعضاء في الصندوق بسنوات.

ويشير أحمد في كتابه إلى وجود ١٥٠ جنسية ممثلة في موظفي الصندوق لكن يبدو أن وجهة نظره عن التنوع في الموارد البشرية لا تتعدى جوازات السفر. فالتطور المستمر في خبرات الموظفين من الأقليات المختلفة يعكس التطور الذي تشهده المؤسسة نفسها ولم يكن ليقدم سوى رؤية محدودة عن ثقافة الصندوق بالإضافة إلى بعض القصص ذات الطابع التراجيدي الكوميدي بين الحين والآخر.

وفي الوقت نفسه، يقول أحمد إن موظفي الصندوق يجسدون شعار "واحد من بين الجميع" على نطاق عالمي: فهم فريق منضبط يحمل أفكارا متجانسة. لكنه لا يفسر السبب: فقد درسوا في نفس كليات الدراسات العليا، ومع نفس الأساتذة، وكتبوا رسائل علمية عن نفس الموضوعات. وهذا لا يعني أنهم جميعا يفكرون بنفس الطريقة، بل يعني أنهم يتحدثون نفس اللغة المهنية ويمكنهم الانخراط بعمق في مشكلات معقدة.

وينشأ عن هذا التشابه حوارا ساخنا، وإن كان دبلوماسيا، على نحو يصعب تصديقه خلف الأبواب الزجاجية القاتمة في الصندوق. والمراجعة الداخلية المعتادة تأخذ غالبا شكل "شطيرة الصندوق": يشير الكتاب إلى ورقة بحثية تمت صياغتها بأسلوب منمق؛ ثم دحضت جميع النقاط الموضوعية التي تناولتها؛ وانتهت بالثناء على أسلوب الاقتصاد القياسي المستخدم. ويختلف صندوق النقد الدولي عن المؤسسات الأخرى، مثل البنك الدولي، في أن الخلافات الحادة التي تدور حول السياسات تظل داخل مبنى الصندوق: فبمجرد تسوية الخلاف، يظهر الموظفون كجبهة موحدة أمام العالم.

ويعني هذا الانضباط أنه، من بين العديد من البنوك، توجد مؤسسة مالية واحدة أصبحت أساسية للاقتصاد العالمي لدرجة أنها تعرف ببساطة باسم "الصندوق". وفي كتاب المال والحب القاسي، يقدم أحمد وجهة نظر طرف داخلي حول كيفية عمل الموظفين لجعل الصندوق أكثر من مجرد مجموع أجزائه البشرية البالغ عددها ٢٥٠٠.

بريت هاوس
زميل أول بمركز ابتكار الحكم الدولي
وكاتب بمؤسسة
Jeanne Sauvé Foundation،
جامعة ماكغيل
وموظف سابق بصندوق النقد الدولي

الصناعية التي يطرحها يختلف تماما عن ممارسة "اختيار الفائزين" التي تم إحياؤها مؤخرا، لا سيما الفائزين على أساس الميزة النسبية.

ويتم عرض هذه الأفكار وغيرها من أفكار معقدة نوعا ما بطريقة بديهية ومنهجية. وفي بعض الأحيان، يتم تقديم نماذج بسيطة (في مذهب أرو – سولو) لزيادة سرعة البديهة وتوضيح النتائج. فالقسمان الأول والثاني يتناولان نموذج لكيفية عرض أفكار جديدة على شخص ملم بالاقتصاد، دون أن يكون بالضرورة متخصص. ويبدأ القسم الأول بإيضاح أهمية التعلُّم، ثم ينتقل إلى وصف كيفية تعلُّم الشركات، ويتناول قضية هيكل السوق، ثم ينتهي بالرفاهية والاعتبارات الواجب مراعاتها على مستوى الاقتصاد. ويتناول القسم الثاني قضايا أكثر تعقيدا، مثل التعلُّم في اقتصاد مغلق وديناميكية طويلة الأجل، ولكنه يظل قائما على البديهة والنماذج البسيطة. ويمثل القسمان الأول والثاني برنامجا تعليميا في كيفية التفكير على غرار الاقتصاديين – أي باستخدام أدوات المهنة في حل المشكلة الأكثر إلحاحا في عصرنا، وهي: كيفية مساعدة المجتمعات على تحقيق النمو القابل للاستمرار. والحماس الذي يبديه ستيغليتز وغرينوولد تجاه هذا الموضوع ينتقل بالعدوى.

غير أن القسم الثالث الذي يحمل عنوان "سياسات مجتمع التعلُّم" يبدو محبطا نوعا ما، وهو ما يرجع جزئيا إلى أنه يفتقر إلى الدقة والبديهة اللذين يقوم عليهما القسمان الأول والثاني. ويبدأ هذا القسم بنقد طويل بل وممل لقضيتي "توافق واشنطن" والتحرير الكامل للتجارة. وسواء كان هذا النقد نوعا من المغالطة المنطقية أم لا، فإنه لا يؤدي إلى إيضاح آثار نظرية مجتمع التعلُّم التي يتناولها المؤلفان على السياسات. ويطرح القسمان الأول والثاني من الكتاب حجة قوية لتدخل الحكومة بغرض تشجيع التعلُّم. ويتمثل التحدي هنا في كيفية تصميم هذه التدخلات على نحو لا ينشأ عنه فشل حكومي من النوع الذي صاحب محاولات التدخل السابقة (كالسياسات الصناعية الخاطئة المتبعة في إفريقيا قبل تسعينات القرن العشرين). ويلمح ستيغليتز وغرينوولد إلى هذا التحدي في القسم الموجز حول الاقتصاد السياسي. لكنهما لا يقدمان أي إرشاد (باستثناء العبارة العامة: "يتوقف ذلك على الظروف القُطرية").

غير أن هذا هو السؤال الذي يطرحه صناع السياسات، لا سيما الذين عانوا من مشورة السياسات حسنة النية وإن كانت ضارة في نهاية الأمر. وهذا أيضا هو التحدي الذي يطرحه فيليب أغيون في تعليقاته على المحاضرة الأصلية، والتي يتساءل فيها عما إذا كانت الحجج المؤيدة للسياسة الصناعية "أقوى من الحجج المقنعة المضادة للاقتصاد السياسي" ويختتم تعليقاته بالنصيحة المنطقية: "عند القيام بتجربة، ينبغي التأكد من القدرة على إيقاف التدخل إذا تبين عدم كفاءته."

ويتسم هذا الكتاب بأنه شديد التأثير وتم إعداده بصورة جيدة إلى حد أن الإحباط الناجم عن قسم السياسات لا يثير الانتقاد. بالعكس، فهو يشجع على تأليف مجلد لاحق يتناول تساؤلات مباشرة عن تصميم وتنفيذ سياسات مجتمع التعلُّم، فضلا عن الحوافز السياسية اللازمة لذلك المجتمع.

شانتايانان ديفاراجان
كبير الخبراء الاقتصاديين لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في البنك الدولي